الصفات عنده وفي عبوره ، احيانا ، ذلك الخط الرفيع الذي تتحول وراءه هذه المناقب ، من شدة الافراط فيها ، الى مثالب . هذا على الصعيد الخاص .

أما على الصعيد العام ، فقد كاد العراقيون ان ينسوا ، في الفترة ما بين ١٩٤٦ ــ ١٩٤٨ ، معنى عبارة « الاستقرار السياسي » . فمع غياب الهدوء من قاموس الحياة اليومية ، اشتدت قوة حضور الاضرابات والمظاهرات وبخاصة في الكليات والمدارس . وكان طبيعيا ومتوقعا ان لا يفوت باسلا ، الطالب في « الثانوية المركزية » ذا الحماس المتفجر ، أي من هذه النشاطات . وفي « الوثبة » (الانتفاضة الشعبية ضد اتفاقية بورتسموث ، في كانون الثاني ــ يناير ١٩٤٨) اضطر باسل لان يبتعد ، مددا وجيزة ، عن صخب الشارع الى سكون المستشفى حيث كان الاطباء ينتزعون من جسد شقيقه (ياسين) رصاصة من رصاصات السلطة التي مزقت كبده وكادت ان تجفف مـــاء الحياة فيه .

واثناء ورود باسل المستمر الى ينبوع العمل السياسي العام ، استطاب مذاق ماء أحد روافده بشكل خاص ... فبدأت رحلة التزامه التنظيمي .

ففي ظل الاجواء السياسية المتقلبة التي تلبدت بها سماء العراق في نهاية الاربعينات ، أنهى باسل دراسته الثانوية وغادر الى الجامعة في لندن . وبعد عام من التمزق الداخلي، تقاذفته فيه تيارات متناقضة ، وبعثت في ذهنه ذكريات معاناته الخاصة في « كليـــة فكتوريا » ، عاد الى الوطن والتحق ، في العام ١٩٥١/١٩٥٢ ، بدائرة العلوم السياسية في الجامعة الاميركية في بيروت . وكانت تلك الخطوة منعطفا حاسما اتخذت حيـــاة باسل بعده مجراها الجديد :

ففي الجامعة الاميركية ، حيث ازدهرت التجمعات والاحزاب القومية في أعقاب سقوط فلسطين في العام ١٩٤٨ ، التقى باسل مع جورج حبش وأصبح ضمن اوائل المنتظمين معه . وبالعمل الدؤوب والانضباط الدقيق ــ المعروفين عن باسل ــ أصبح مثالا للملتزم الذي يحتذى ... كما ولمع نجمه ، كقائد طلابي ، بسرعة بالغة .

كانت الازمة الداخلية في العراق ، في هذه الاثناء ، تتفاقم نتيجة لازدياد اســـتفراد « الوصي على العرش » بمقدرات السلطة . وسرعان ما بلغ تدهور الاوضاع نقطـــة الانفجار . فكانت « انتفاضة ١٩٥٢ » وما رافقها من دعوة السلطة للجيش لادارة دفة البلاد . وبالفعل شكل رئيس الاركان العراقي ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢ ، حكومة تمكنت من اعادة الامساك بمقاليد الامور لصالح الفئة الحاكمة بعد ان كادت تفلت نهائيا من يدها اثناء الانتفاضة . وبذلك أتيح « للغزل » البريطاني ــ العراقي ، القائم على قدم وساق ، ان يستمر تمهيدا « لزواجهما » المرتقب وفقا « لعقد » معاهدة الدفاع المشترك التي كانت قيد الاعداد آنذاك .

وضمن موجة المظاهرات الصاخبة التي عمت عددا من البلدان العربية قطعا للطريق على عودة الاستعمار البريطاني « من النافذة بعد ان خرج من الباب » ، اشترك باسل في قيادة المظاهرات العنيفة التي ملأت شوارع بيروت . وقد كانت حصيلة « مكاسبه » الشخصية من تلك الاحداث وافية : جراح في رأسه ، واعتقال في « سجن الرمل » في بيروت ، وانذار بالطرد الفوري من الجامعة اذا ما تكرر « سوء سلوكه » . وقد تبلور الانذار ، اثناء عطلة الصيف ، فطرد باسل وطالبان آخران ، قبل ان تتاح لـــه فرصـــة الحصول على شهادة جامعية*.

---

* ومما هو جدير بالذكر ان مجموعة باسل هذه كانت اول مجموعة من الطلاب تطرد منذ تأسيس الجامعة .